التسلسل العام للدروس (١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

📖 **قال المؤلف– رحمه الله –: «بَابُ مَا جَاءَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ».**

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}[الواقعة: ٨٢].

قوله: « **بَابُ مَا جَاءَ** »، أي: من النهي الأكيد والوعيد الشديد لمن طلب ذلك، وهو: الاستسقاء بالأنواء.

والاستسقاء أصله: من سقى – يسقي، والمراد بذلك: إما أنه يطلب منها أنها تسقيه أو أنه ينسب ذلك الخير إلى تلك الأنواء.

قوله: «**بِالْأَنْوَاءِ**»: والأنواء: جمع نوء، والمراد به: النجم.

والاستسقاء بالأنواء يأتي على أنواع:

النوع الأول: أن يطلب من الأنواء السقيا، فيقول: يا نوء كذا أسقنا، وهذا بلا شك أنه شرك أكبر؛ لأنه دعاء لغير الله عز وجل.

النوع الثاني: أن ينسب المطر إلى ذلك النوء، وهذا نقول: أنه شرك أصغر؛ لأنه اتخذ أو جعل سببًا لم يكن سببًا، وأضاف النعمة لغير الله عز وجل؛ فهذا كفر أصغر.

النوع الثالث: أن يقول: سقينا أو مطرنا بنوء كذا، ويريد بذلك الظرف، بنوء كذا. أي: في ظرف كذا، وأراد بالباء هنا الظرفية، وهذه المسألة اختلف العلماء فيها: فمنهم من أجاز، ومنهم من كره، ومنهم من حرم ذلك كما هو ظاهر الحديث؛ لأن النبي ﷺ لم يستفصل في الحديث، بل حكم على من قال: مطرنا بنوء كذا. فهو كافر بالله عز وجل؛ لأنه نسب النعمة لغير الله عز وجل.

نسبة المطر لله عز وجل يأتي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: نسبة إيجاد، أي: إما أنه يعتقد أن ذلك النجم هو الموجود من دون الله عز وجل؛ وهذا شرك أكبر.

النوع الثاني: أنه يعتقد أنه سبب؛ وهذا شرك أصغر.

النوع الثالث: أن يعتقد الظرف، مطرنا بنوء كذا. أي: بوقت كذا، وهذه المسألة اختلف العلماء فيها، لذلك نقول: أنه ينبغي للإنسان أنه يتجنب هذا اللفظ؛ لأن الإنسان إذا قال: مطرنا بنوء كذا. ويقصد بذلك الظرف فإن الإنسان أو السامع قد لا يعرف معنى الظرف، أو لا يفهم ذلك من هذه الجملة الظرفية.

فلذلك نقول: ينبغي للإنسان أن يتجنب ذلك حتى لو كان المعنى صحيحًا، فإن الإنسان لو قال: مطرنا في وقت كذا. لا بأس، ولكن إذا خشي الإنسان إذا قال: مطرنا بنوء كذا. ويقصد الظرفية فيفهم منه غير ذلك، فإنا نقول: أن الإنسان يحتاط في الألفاظ ولا يتلفظ إلا بلفظ واضح.

لذلك النبي ﷺ قال عمن قال: مطرنا بنوء كذا. فإنه كافر بالله.

و لم يستفصل النبي ﷺ هل أراد بهذه النسبة نسبة إيجاد؟ أو نسبة سبب؟ أو ظرف؟ فلذلك ينبغي للإنسان أن يحتاط في اللفظ.

ثم استدل المصنف – رحمه الله – على تحريم هذا الشيء وهو: نسبة المطر لغير الله عز وجل بقول الله تعالى: **{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}**[الواقعة: ٨٢].

والله عز وجل قال قبلها: **{فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}**[الواقعة: ٧٥]، ثم قال بعدها بآيات: **{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}**[الواقعة: ٨٢]، أي: تجعلون حظكم، ورزقكم من هذا المطر أنكم تنسبون هذه النعمة لغير الله عز وجل، بدلًا من أن تقولوا: مطرنا بفضل الله ورحمته. تقولوا: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ فهذا جحد للنعمة، وتكذيب لنعمة الله عز وجل.

📖 **قال المؤلف– رحمه الله –: وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ».**

قوله: « **أَرْبَعٌ** »: هل المراد بأنها أربع مقيدة لا خامس بعدها؟

الجواب: لا، نقول: أربع وهي أكثر من أربع، ولكن أراد النبي ﷺ أن تحفظ هذه الأربع، فهو من باب التسهيل على الناس، وتيسير العلم قيدت بأربع، وإلا أمور الجاهلية التي يفعلها الناس ويتمسكون بها كثير، ولكن أراد النبي ﷺ تسهيل العلم وضبطه.

وأيضًا فيه فائدة أخرى، فقول النبي ﷺ: « **أَرْبَعٌ** »: يعين الإنسان على حفظ المسألة، ولذلك إذا أردت أن تتحدث مع الناس أو من آداب التعليم أنك تذكر التعداد إن كان هناك عدد فتقول مثلًا: هذه المسألة فيها ثلاثة أقوال: القول الأول، القول الثاني، القول الثالث؛ لأن هذا أدعى إلى الحفظ؛ لأن الإنسان قد ينسى الخلاف، أو يعرف الخلاف ولكن لا يدري على كم الخلاف؟ فحينما تذكر له ثلاث فإن هذا يعينه على أن المسألة فيها ثلاثة أقوال.

قوله: «**مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ**»، نقول: الجاهلية هي: كل ما خالف الدين، فإنه يعد من أمور الجاهلية.

والجاهلية على نوعين:

النوع الأول: جاهلية مطلقة، وهي قبل مبعث النبي ﷺ، سواء كانت قبله بسنوات أو قبله بقرون إن كان مخالفًا لهذا الدين.

والجاهلية المراد بها ما خالف الدين، وهناك جاهلية مطلقة وهي التي تكون قبل مبعث النبي ﷺ المخالفة للدين، سواء كانت هذه الجاهلية صادرة من العرب أو من غير العرب ممن لم يعمل بالكتاب.

النوع الثاني: جاهلية مقيدة، وهي بعد معبث النبي ﷺ، فهناك جاهليات قد يتمسك بها بعض الناس أو تظهر في بعض البلدان، أو تظهر في بعض الأحوال.

ولذلك نقول: أن الجاهلية المقيدة قد تكون في بلد دون بلد، وفي شخص دون شخص، وفي وقت دون وقت، قد يكون الإنسان عنده علم ولكن فيه شيء من الجاهلية كتقليد الآباء، أو الفخر بالأنساب، أو الطعن في الأنساب؛ كما في قصة أبي الدرداء ال ذكر حينما طعن في رجل من الصحابة فقال له: يا ابن أم عبد. غضب النبي ﷺ وقال: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»، أي: آثار الجاهلية لازالت باقية عنده.

قوله: « **الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ** »، أي: عد مآثر الآباء: كان آباؤنا يفعلون كذا وكذا، وغير ذلك من الأمور.

وخاصة أن الآباء قد يعملون هذه الأعمال إما كبرًا أو فخرًا، أو نفاقًا، أو غير ذلك من الأمور، وقد يكون هؤلاء الآباء على غير الدين، أو أنهم ممن يفعل ويجاهر بالذنوب والمعاصي، ثم هؤلاء يفتخرون بالآباء، بل من الجهل أن الإنسان قد يفتخر بآبائه بأنهم يفعلون الأمور المحرمة من القتل والسرقة، والسلب، وشرب الخمر وغير ذلك ويعدون ذلك من مفاخر الآباء، فجمعوا بين الجهل الذي هو الفخر بالأحساب، وكذلك أيضًا من الجهل الذي هو نشر والتفاخر بالأفعال المحرمة أو المعاصي.

قوله: «**وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ**»، أي: عيب الأنساب كوصف الناس بالدون في النسب، أو بأنهم لا نسب فيهم أو غير ذلك من الأمور.

قوله: «**وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ**»، المراد: إما أن يكون الاستسقاء أي: طلب السقيا من النجم فيقول: يا نجم كذا أو يا نوء كذا انقذنا، أو ارزقنا، أو اسقنا، أو أعطنا، أو غير ذلك.

ويحتمل الاستسقاء أي: نسبة السقيا إلى المطر كأن يقول: سقينا بنوء كذا.

قوله: «**وَالنِّيَاحَةُ**»: النياحة المراد بها: رفع الصوت لمن أ صيب بمصيبة كالموت ونحوه.

📖 **قال المؤلف– رحمه الله –: وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.**

قوله: « **سِرْبَالٌ** » المراد به: الثوب.

قوله: « **مِنْ قَطِرَانٍ** »: القطران هو: نوع معروف من الزفت، أي: أنها تقام وعليها هذا الثوب لابسة، ونوع هذا الثوب أنه من قطران؛ وهذا بلا شك دليل على شدة العذاب لمن فعل ذلك الأمر.

📖 قال المؤلف– رحمه الله –: **وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ﷺ قَالَ: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ ».**

قوله: «صَلَّى لَنَا»: أي: صلى بنا.

قوله: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ»: وصلاة الصبح المراد بها: صلاة الفجر.

والحديبية: مكان معروف ويسمى الآن بحي الشميسي، وموجود في مكة معروف عند أهل مكة.

قوله: «عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ»: أي: على إثر مطر كان من الليل.

قوله: «فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟»: هذا فيه فائدة وهي: أنه ينبغي لطالب العلم أن المناسبات إذا مرت، سواء كانت هذه المناسبات خيرية من نزول مطر أو رزق أو غير ذلك أو كذلك حدوث شيء من الشر كزلازل، أو حوادث، أو كوارث، أو ريح، أو غرق أو غير ذلك، ألا يفوت هذه الفرصة إلا أن يلقي كلمة يرشد فيها الناس، يبين لهم الهدي النبوي في هذه المسائل.

لذلك النبي ﷺ تحدث في صلاة الفجر، لم يؤخر ذلك إلى الظهر، أو العصر لا، وإنما تحدث في الفجر لأن المناسبة كانت في الليل.

قوله: «فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟»: أيضًا: فيه فائدة أخرى، وهي: أنه في مقام التعليم ينبغي أن يكون التعليم أحيانًا عن طريق السؤال والجواب، كما في حديث جبريل، حينما جاء إلى النبي ﷺ يسأله عن الإسلام، وعن الإيمان، وعن الإحسان، وعن أشراط الساعة، فكان يسأل ويجيب، فنقول: أن هذا أدعى لفهم الجواب، وأدعى للانتباه.

قوله: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ»: وسبق الكلام على هذه المسألة، وقلنا: هل يجوز للإنسان أن يقول: الله ورسوله أعلم أو لا يجوز؟

الجواب: ذكرنا أنه في المسائل الكونية نقول: الله أعلم؛ لأن هذا من خصائص الله عز وجل، فالمسائل الكونية الإنسان إذا سئل عنها يقول: الله أعلم.

أما المسائل الشرعية ففي حياة النبي ﷺ يتفق الناس أنه يجوز، أما بعد موت النبي ﷺ هل يقال: الله ورسوله أعلم أو يقال: الله أعلم؟

الجواب: في ذلك خلاف، وسبق الخلاف، وقلنا لكم: أن رأي كثير من أئمة الدعوة وهو كذلك رأي لبعض المعاصرين كالشيخ ابن باز – رحمه الله –، وكذلك الشيخ الألباني يرون المنع، فلا يقول الإنسان: الله ورسوله أعلم. بل يقول:

الله أعلم؛ لأن النبي ﷺ مات، ورأى شيخنا الشيخ محمد بأنه يجوز للإنسان أن يقول: الله ورسوله أعلم باعتبار أن النبي ﷺ يعلم كل مسألة شرعية.

قوله: «قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ. قَالَ: قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ»: مؤمن بي. لماذا؟

الجواب: لأنه نسب النعمة له سبحانه وتعالى، وكافر بالكوكب، أي: أنه لم يؤمن بالكوكب وأن الكوكب هو الذي يأتي بالأمطار، أو أنه بسببه تكون الأمطار.

قوله: «وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»، وهذا هو الشاهد، أي: أن من نسب النعمة لغير الله عز وجل فهو كافر بالله.

ولكن هل هذا الكفر أكبر أو أصغر؟

الجواب: نقول: سبق لنا أن القاعدة: **"أن الكفر أو الشرك إذا جاء غير معرف فإن المراد به الكفر الأصغر"**.

وعلى ذلك هنا في هذا الحديث: « **فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي** »، أي: المراد الكفر الأصغر؛ وهذا ينبني على التفصيل السابق فمن اعتقد أن الأنواء هي التي تأتي بالخير بالأمطار من دون الله عز وجل؛ فهذا بلا شك أنه كفر أكبر، ولكن غالب الناس حينما يتلفظ بذلك فإنه يريد أنها سبب من الأسباب.

ويقاس على ذلك من نسب الأمطار إلى الانخفاضات الجوية، أو إلى البرودة، أو إلى غير ذلك من الأمور، فإنا نقول: ينبغي للإنسان أن ينسب هذه النعمة لله عز وجل، ولا ينسبها إلى انخفاضات جوية أو غير ذلك، وإنما يقول: مطرنا بفضل الله ورحمته.

📖 **قال المؤلف– رحمه الله –: وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ، وَفِيهِ: «قَالَ بَعْضُهُمْ لَقَدْ صَدَقَ نَوْءَ كَذَا وَكَذَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}»**.

قوله: «وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ، وَفِيهِ: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءَ كَذَا»، أي: حينما خرج المطر أو نزل المطر في وقت ذلك النجم فظنوا أن النجم هو سبب من الأسباب، فنسبوا له ذلك الخير، فكذبهم النبي ﷺ وكذبهم الله عز وجل بأن أنزل: **{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}**[الواقعة: ٨٢]، أي: تنسبون هذه النعمة إلى غير الله عز وجل، فتنسبونها إلى ذلك النجم.

📖 **قال المؤلف– رحمه الله –: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ }**[البقرة: ١٦٥].

نقول: أراد المصنف – رحمه الله – بهذا الباب ذكر المحبة، والمحبة لله عز وجل المراد بها: التذلل، والتعظيم له سبحانه وتعالى، فمحبة الله عز وجل بلا شك أنها من أفضل الأعمال التي يتقرب بها المؤمن إلى ربه سبحانه وتعالى.

بل قال ابن القيم – رحمه الله – عن المحبة لله عز وجل: هي المنزلة التي من أجلها تنافس المتنافسون، وإليها شمر العاملون، وبروح نسيمها تنسم المؤمنون.

ثم ذكر كلمات في فضل المحبة وأنه ينبغي للإنسان أن يحب الله ويعظم هذه المسألة وهي مسألة الحب لله عز وجل، أي: أن الإنسان يحب الله عز وجل، حتى قال: فلو بطلت هذه المسألة- أي: مسألة المحبة- لبطلت جميع أفعال الإيمان، والإسلام، والإحسان، أي: أن الإنسان يعبد الله عز وجل من أجل هذا الأمر، وهو: أنه يحب الله سبحانه وتعالى.

فحقيقة الإخلاص وحقيقة الإيمان، وتفسير الإسلام هو قائم على هذه المسألة وهي: مسألة المحبة لله عز وجل.

ومحبة الله عز وجل المراد بها: هي المحبة المقترنة بالتعظيم، والتذلل لله عز وجل، **وهي على نوعين:**

النوع الأول: محبة واجبة، وهي: كل ما يبعث الإنسان على فعل الواجبات وترك المحرمات.

النوع الثاني: المحبة المستحبة، وهي: كل ما يبعث الإنسان على فعل السنن وترك الأمور المشتبهة.

وكلما زاد الإنسان حبًا لله عز وجل زادت طاعته لله عز وجل، فيحب ما يحب، ويبغض ما يبغض.

والمحبة على نوعين:

النوع الأول: محبة خاصة بالله سبحانه وتعالى، لا يجوز لأحد أن يصرفها لغيره، وهي: المحبة المقترنة بالتذلل، والتعظيم، فهذه لا تكون إلا لله.

النوع الثاني: المحبة المشتركة، وهي أنواع:

أولًا: محبة الولاية والنصرة، وهي: التي تكون محبة لأجل الله، أو محبة في الله، كمحبة الرجل لغيره لأجل الله، فلا يحبه إلا لأنه مطيع لله عز وجل، وهذه من أفضل الأعمال التي يتقرب بها المؤمن إلى ربه، أن يحب المؤمن لله عز وجل؛ وهذا من الولاية والنصرة، والله عز وجل قال: **{الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}**[الزخرف: ٦٧]، فكل الناس يوم القيامة أي الأصدقاء يكونوا أعداءً بعضهم لبعض إلا من كانت محبته لله عز وجل، فإنها تبقى حتى يوم القيامة.

لذلك ذكر النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»، وذكر منهم: «**رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»، أي: اجتمعا عليه في الدنيا وتفرقا عليه، أي: مات أحدهما أو كلاهما، ماتوا وهم يحبون بعض لله عز وجل، كان الجزاء أنهم يكونون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ وهذا يدل على فضل المحبة لله عز وجل.

ثانيًا: المحبة الطبيعية؛ كمحبة الإنسان للطعام، وكذلك محبته لوطنه وغير ذلك؛ فهذه محبة طبيعية، لا يلام عليها الإنسان إلا إذا ترتب على ذلك ترك واجب أو فعل محرم.

ثالثًا: محبة إشفاق ورحمة؛ كمحبة الوالد لولده.

رابعًا: محبة إجلال؛ كمحبة الابن لوالده، والطالب لمربيه.

خامسًا: محبة محرمة؛ وهي: التي تكون لأجل فعل معصية أو ترك واجب، فإن هذا المحبة نقول: أنها محبة محرمة.

قوله: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}[البقرة: ١٦٥].

سبق الكلام على هذه الآية في أول الكتاب، ونقول: أراد المصنف – رحمه الله – بهذا الباب أن يبين أن المحبة الحقيقية لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى، فهي المحبة التعبدية المستلزمة للذل والخضوع فهي لله عز وجل، فمن صرفها لغير الله: كمن أحب الأصنام، أو الأوثان، أو القبور، أو الأولياء أو الصالحين واستلزم ذلك أن تذلل وعبدهم من دون الله، أو سمع لهم بما حرم الله عز وجل، واستجاب لهم بأنهم حللوا المحرم، أو حرموا الحلال فإنا نقول: أن هذه محبة شركية لا يجوز للإنسان أن يفعلها، بل الواجب أن تكون المحبة المستلزمة للذل والخضوع لله سبحانه وتعالى.

والناس في المحبة على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: من نحبهم محبة كاملة: كالأنبياء، والملائكة، والصديقين.

النوع الثاني: من نبغضهم بغضًا كاملًا: كالمنافقين، والكافرين، وأعداء الدين.

النوع الثالث: من نحبهم ونبغضهم على قدر ما فيهم من خير وشر، من إيمان وفسوق، وكلما زاد إيمان الإنسان بالله عز وجل ازددنا حبًا له، وكلما نقص إيمانه نقصت محبتنا له.

حقيقة المحبة لله عز وجل: أي: إذا أردت أن تعرف أنك تحب فلان لله عز وجل أننا نقول: أن هذه المحبة لا تزيد بالهدية، ولا تنقص بالجفاء، لماذا؟

الجواب: لأن المحبة إنما تكون لله عز وجل، فهي مرتبطة بعمل الإنسان بينه وبين الله عز وجل.

📖 **قال المؤلف– رحمه الله –: وقَوْلِهِ تَعَالَى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}**[التوبة: ٢٤].

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أَخْرَجَاهُ.

قوله: « لَا يُؤْمِنُ »: سبق الكلام على هذه الجملة، وذكرنا لكم ضابطًا أن المراد من قول النبي ﷺ: « **لَا يُؤْمِنُ** »: نفي الإيمان عن الإنسان، ولكن هل المراد بذلك نفي الإيمان المستحب، أو نفي الإيمان الواجب، أو نفي الإيمان من أصله؟

الجواب: نقول: السياق يبين ذلك، ويحدد ذلك مع العلم أنه لم يأت في الشرع نفي الإيمان لمن ترك مستحبًا، بل نفي الإيمان إما أن يكون لمن ترك واجبًا، أو لمن ترك واجبًا تركه من نواقض الإيمان.

أما من ترك مستحبًا فإنا لا نقول أو لم يأت في الشرع كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: نفي الإيمان عنه. وإنما نقول: المراد بذلك إما نفي الإيمان الواجب. أي: حقيقة الإيمان، أو المراد بذلك: نفي الإيمان من أصله، وذلك لا يكون إلا بعمل ناقض من نواقض الإيمان.

قول النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»: فإذا جاء هذا الخطاب فهذا يدل على وجوب الفعل، أو أن ترك الفعل يعد من جملة الأمور المحرمة، وعلى ذلك محبة النبي ﷺ أكثر من الولد، والوالد، والناس أجمعين، حكمه: أنه يعد من جملة الواجبات، وأن من ترك ذلك فأحب الناس أكثر من محبة النبي ﷺ أو أحب ولده أو والده أكثر من محبة النبي ﷺ، فإنا نقول: أنه يعد من جملة الأمور المحرمة.

قول النبي ﷺ: « لَا يُؤْمِنُ »: دليل على أنه إما واقع في أمر محرم لتركه واجب أو لفعل محرم؛ وسبق الكلام على هذه المسألة.

📖 **قال المؤلف– رحمه الله –: وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»**.

قوله: « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ»، أي: ثلاث خصال، من كانت فيه، أي: أنه فعلها فعلًا تامًا كان الجزاء أنه وجد حلاوة الإيمان، وهي لذة القلب ونعيمه وسروره؛ لأنه فعل الإيمان الكامل.

والحلاوة هنا عُبر بها عن الذوق، أي: أنه ذاق الإيمان، فكما أن الإنسان إذا أكل شيئًا فيه حلوى وجد أو ذاق ذلك أو تلذذ به، كذلك من عبد الله أو من آمن بالله عز وجل ففعل هذه الثلاث فإنه يجد تلك الحلاوة.

قوله: «وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ»، أي: أن المحبة التي تكون بين الناس إنما هي لأجل الله عز وجل.

📖 **قال المؤلف– رحمه الله –: وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى. . » إِلَى آخِرِهِ.**

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ – وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ – حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا». رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

قوله: «وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ»، أي: من كانت محبته بسبب الله، أي: أن سببها إنما هو طاعة الله سبحانه وتعالى.

قوله: « **وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ** »، أي: كان بغضه لأجل الله عز وجل.

قوله: «**وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ**»، ما الفرق بين الموالاة وبين الولاء؟ الجواب: نقول: الولاء: المحبة، والنصرة، ويترتب على ذلك الموالاة، فالموالاة نتيجة الولاء. والمعاداة نتيجة البراء، لذلك قال: «**مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ**»: هذا يسمى ولاء، «**وَوَالَى فِي اللَّهِ**»: هذه تسمى موالاة، فنتيجة المحبة والولاء لله عز وجل أن يوالي المؤمن المؤمنين.

قوله: «**وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ**»، أي: ونتيجة ذلك، أي: ويترتب على ذلك «**وَعَادَى فِي اللَّهِ**»، وهي المعاداة لأجل الله عز وجل، أي: بمعنى أن الإنسان يحب الناس لأجل الله، أي: كلما زاد إيمانهم بالله عز وجل وكثرت أفعالهم الخيرية أحببهم، لا لغرض من أغراض الدنيا، فهو لا يحبهم لكثرة أموالهم أو لينتفع بهم، أو لمصالحهم أو لغرض من أغراض الدنيا وإنما يحبهم لأجل الله عز وجل، كذلك يعادي هؤلاء لا لغرض من أغراض الدنيا، وإنما يعاديهم لأجل الله عز وجل.

قوله: «**فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ**»: أي: أن تكون وليًا لله عز وجل بسبب ذلك، فالولي هو المؤمن التقي، فالمؤمن التقي لا يكون كذلك إلا إذا أحب ووالى في الله، وأبغض وعادى في الله عز وجل.

قوله: «**وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ – وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ – حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ**»: أي: يحب في الله ويبغض في الله.

قوله: «**وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا**»: القائل: ابن عباس، في عهد التابعين، يقول: عامة مؤاخاة الناس في عهد التابعين لأجل الدنيا، لغرض من أغراض الدنيا، فكيف بحالنا الآن؟! وهو بلا شك أشد سوءًا من ذلك.

قوله: «**وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا**»: أي: لا ينفعهم، المحبة للأشخاص، وللذوات، ولغرض من أغراض الدنيا لا ينفعهم، بل قد يكون ضرره أكبر من نفعه؛ لأنه صرف المحبة لغير الله عز وجل.

📖 **قال المؤلف– رحمه الله –: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ}، قَالَ: (الْمَوَدَّةُ).**

أي: محبة الإنسان لغيره من الناس تنفع، ولكن متى تنفع؟ الجواب: تنفع إذا كانت لله عز وجل، أما إذا كانت لغير الله عز وجل فإنها لا تنفع بل ضرر ذلك قد يكون أكبر من نفعه بذلك. لذلك قال الله عز وجل: **{ الْأَخِلَّاءُ }** أي: الأصدقاء، حكمهم: يوم القيامة **{ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}** [الزخرف: ٦٧]: فهذا دليل على أن المحبة لغرض من أغراض الدنيا لا تنفع، بل قد يكون ضررها أكبر من نفعها إذا ترتب على ذلك، أي: أن الإنسان إذا أحب بعض الناس لغرض من أغراض الدنيا وكانت معونته له إنما هي لغرض من أغراض الدنيا، فهو لا يحبه لله وإنما يحبه لأجل مادته أو غير ذلك فيكون عدوًا له يوم القيامة. أما إن كانت المحبة لله عز وجل فبلا شك أن ذلك خير وفضل؛ كما قال النبي ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله**»، وذكر منهم «**رجلان تحابا في الله**»؛ فهو دليل على فضل المحبة لله عز وجل.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.